جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم الأدب والنقد

المجالس الأدبية في العصر العباسي الأول

وأثرها في نهضة الأدب

١٣٢ - ٢٣٢ هـ

رسالة دكتوراه

إعداد

خليل إبراهيم صالح حسن ظاهر

بإشراف

الأستاذ الدكتور أحمد السرباصي

أستاذ الأدب والنقد بالكلية

مكتب النصر للآلات الكاتبة
مدينة نصر - رابعة العدوية
عمارة ٨ شقة ٣

١٤٠٠ هـ
١٩٨٠ م

* الخاتمـــة *

موضوع المجالس الأدبيـة فى العصر العباسى الأول من الأهمية بمكان ، لأنه يكشف لنا بجلاء عن مدى النهضة الأدبيـة الكبرى التى حدثت فـى هذا العصر . واذا كان كثير من الأدباء والنقاد جردوا أقلامهم لتنـاول قضية معينة فيه ، فان هذا البحث أظهر كثيرا من الجوانب التى غفـل عنها أكثر الدارسين .

تناولت فى هذا البحث مجالس الأدب بالدراسة والاستقصاء ، فأبرزت مالهذه المجالس من أثر فعال فى احياء التراث ، وصقله وتنقيته من كـل شائبـة . وكشفت عن بيئات المجالس على اختلاف أنواعها خلال هذا العصر . وعرفت بأشهر فرسان هذه المجالس الذين نهضوا بذلك العبء الثقيـل ، وحملوا تلك الرسالة فأدوها بأمانة واخلاص ، وكشفت عن أهم الآثار الأدبيـة والنقديـة التى تمخض عنها البحث فى ذلـك .

وانني لأرجو أن تكون هذه الدراسة ، اضافة جديدة ، للدراسات التى دارت حول هذا العصر ، وأن تسد فراغا فى تاريخ أدبنا العربى ، نشـأ عن اغفال الدراسين لمجالس الأدب فى العصر العباسى الأول ، وعـدم ايفاء هذا العصر حقه من الدراسة .

أما أهم ملامح الجدة فى هذا البحث ، فهى :

١ ـ سلك البحث منهجا جديدا لم يكن تتبعا لأحد أو تقليدا لكتـاب فمن خلال عرض المجالس الأدبيـة فى العصر العباسى الأول استطعنـا أن نسجل أهميتها فى كشف الجوانب الأدبية فى هذا العصر . كمـا أن موضوع المجالس يدلنا بحق على شخصيات الخلفاء ، وسائر كبار رجال الدولة ، والأدباء ، والنقاد ، والشعراء ، وعلى نهضة الأدب والنقد فى هذا العصر .

٢ ـ أثبت البحث أن العصر العباسى الأول هو عصر السيادة العربية وأن الخلافـة كانت فى أزهى عصورها ، وأن الروح العربية ظلت شامخـة مسيطرة يسندها الخلفاء ، وكبار رجال الدولة ، والفقهاء ، وعلماء اللغـة والأدب والشعـر . وأن الحديث عن الشعر والشعراء كانت تعمر به مجالـس الأدباء والخلفاء ، على الرغم من تغلغل نفوذ الفرس ، واتساع ظاهرة التمـازج ،

وبروز نزعة الشعوبية وتفشى الزندقة خلال هذا العصر .

٣ - ومن أهم ماقدمه هذا البحث من جديد هو تلك المحاولة التى قام بها لبيان مفهوم المجالس الأدبية من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية .

٤ - صحح البحث الوهم الذى وقع فيه بعض الباحثين ، وعلى رأسهم ايرنست ديز ، فى دائرة المعارف الاسلامية ، حين أساء فهم ماورد فى الأغانى ، وأطلق على الكتاتيب مجالس الأدب .

٥ - ومن ملامح الجدة فى هذا البحث أيضا أنه تناول مسيرة المجالس الأدبية منذ نشأتها ، فعرض لها عند اليونان والفرس والرومان . ثم كشف عن طبيعة هذه المجالس فى العصر الجاهلى . وتحدث عن المجالس فى صدر الاسلام ، وهنا دحضت رأى ابن خلدون القائل بأن حظ هذا العصر من الأدب قليل ، ودعمت رأيى بايراد النصوص والشواهد التى تؤكد استمرار وجود مجالس الأدب ، وتبين اهتمام الرسول الكريم والخلفاء الراشدين بهذه المجالس .

ثم تحدث البحث عن المجالس الأدبية فى العصر الأموى ، وألمع الى نشاطها فى رحاب خلفاء بنى أمية ، وذهب الى أن تاريخ المجالس الأدبية أصبح فى هذا العصر مرتهطا بتاريخ القصور .

ويتابع البحث حديثه عن المجالس الأدبية فى العصر العباسى الأول ، مبينا أهم العوامل التى دعت الى قيام مثل هذه المجالس ثم يبرز أهم العوامل التى أدت الى ازدهارها . ويتناول بالدرس والتحليل مجالس العصر فى كل من البصرة والكوفة وبغداد مبينا أهم بيئاتها ، وموضوعاتها ، وأشهر أعلامها الذين أسهموا فى نهضة هذه المجالس .

٦ - أبرز البحث دور المجالس فى حفظ الأدب والتراث العربى من التحريف والضياع إذ بذل المهتمون بهذه المجالس غاية جهدهم من أجل الوصول الى عجز بيت من الشعر ، أو تحرى الدقة فى شرحه ، أو اقامة عروضه ، أو ضبط اعرابه ، أو الحاقه ببيت آخر ، أو التحقق من سلامة

نسبته الى قائلـه . وقد كشف البحث عن زيف بعض الرواة وتزيدهـم ووضعهم للشعر .

٧ - بين البحث فضل المجالس على بعض الخلفاء ورجال دولتهم ، وكشف عن ثقافتهم واهتمامهم بمجالس الأدب والشعر ، فبعضهم كان يحفظ شعر ذى الرمة كهارون الرشيد ، ومثله ابنه المأمون كان يحفظ كثيرا من الأشعار والأخبار ، ومثلهما الواثق الذى برع فى فن الغناء والموسيقى .

٨ - بين البحث ماللمجالس من فضل على كثير من الشعراء ، فهى التى رفعت شأنهم ، وأبرزت شعرهم ، وأعلت ذكرهم فى قصور الخلفاء ، وكبار رجال الدولة ، وربما يحدث ذلك عن طريق مجلس من مجالس الغناء حين يتغنى أحدهم بشعر لبعض الشعراء ، فاذا ماطرب له صاحب الجاه ، استدعاه وضمه الى ندمائه . وكان يحدث مثل ذلك عن طريق مجالس المديح أيضا ، فينال الشاعر أجزل الهبات ، الأمر الذى أدى بالتالى الى تحاسد الشعراء .

وألمع البحث كذلك الى تحاسد العلماء أنفسهم ، والى الصراع الذى كان ينشب بينهم فى بعض الأحيان ، من مثل الصراع الذى كان يحدث بين المبرد وثعلب ، وكان قبل ذلك قد حدث بين أبى عبيدة والأصمعى .

٩ - كشف البحث عن ظاهرة خطيرة فى الأدب كانت تحدث فى المجالس ، وذلك حين استباح الرواة لأنفسهم أن يغيروا مايمكن تغييره اذا هو لم يتفق وتلك القواعد المرعية التى يرونها ، فدفعهم ذلك الى التغيير فى أشعار القدماء .

١٠ - ربط البحث بين مجالس الأصحاب من الشعراء ، وعرف بأبرز هؤلاء الشعراء ، وألقى الضوء على بيئاتهم ، ومجالسهم ، واتجاهاتهم ، وموضوعاتهم . وبين الأثر الذى تركته مجالسهم فى نهضة الأدب والنقد فى هذا العصر .

١١ - أبرز البحث المساجد كبيئة فعالة فى مجالس الأدب ، وألمع الى أثرها الجليل فى اعداد العلماء والأدباء ، وذلك الى جانب الأثر

الدينى الكبير الذى يسهم به فى اعداد الجيل ، وتربيته تربية اسلامية كريمة . وعرض لأبرز الأعلام الذين حملوا هذه الرسالة السامية ، معززا ذلك بالأدلة والشواهد . وبين الأثر الذى قاموا به من أجل نشر الثقافة ، وتيسيرها .

وأثبت البحث أيضا أن الأدب فى هذا العصر لم يكن ضربا من الترف أو ملهاة يزجى بها الوقت ، أو فنا مقصورا على فئة قليلة من الناس ، بل كان موجودا فى كل مكان ، وهو حق لكل طالب علم ، أو مريد أدب .

١٢ — الا أن أهم ماقدمه هذا البحث من جديد هو دراسة أثر هذه المجالس فى الأدب ، فقد بين هذا البحث أثر المجالس فى تطور أدب هذا العصر ، والارتفاع به عن الجمود ، بل رفعت من شأنه ، فتطور وزها حتى بلغ أوجه ، ووصل الى مكانة لاتضاهيها مكانة فى مختلف العصور .

فقد حرص البحث على ابراز أثر هذه المجالس فى توثيق الشعر ، والوقوف عليه ، وشرحه وتفسيره وتحليله بأسلوب طريف ، ودراسته دراسة عميقة واعية . ومن هنا يظهر أثر هذه المجالس فى الأدب والنقد ، لأن شروح الشعر ذات أهمية فى دراسات النقد ، وهى مرحلة أولى من مراحله ، ولايتم نقد الا بعد تفهم نصوص الشعر تفهما صحيحا . وخاصة فى عصر انتشر فيه المولدون ، وداخلت الفصحى بعض عناصر غريبة ، وتفشت العامية فى أوساط الناس . الأمر الذى أدى بالتالى الى تأليف الكتب فى معانى الشعر ، ككتاب " معانى الشعر " للأشنانداني ، و" معانى الشعر الكبير " لابن قتيبة ، ونوادر أبى زيد ، وغيرها .

وكشف البحث كذلك عن أثر المجالس فى رواج الشعر وانتشاره ، وبعثه فى صورة حية ملائمة لنفوس أبناء هذا العصر ، فأظهرت مثلا أحسن ماقيل فى المديح ، والمراثى ، والغزل ، أو أخبث ماسمع فى الهجو ، أو أعز بيت ، أو أنصف بيت ، أو أخلب بيت قالته العرب ، أو أحسن ماقيل فى أصحاب النبيذ ، وماأشبه ذلك .

وفى عصر كثر فيه تعصب العلماء لبعض الشعراء ، وكثر القول فيه عن تقديم شاعر على آخر ، أو على سائر الشعراء ، نبه البحث الى أثر المجالس فى علو مكانة الشاعر أو هبوطها ، وبين دور اللغويين والأدباء فى ذلك ، وأصبحت مكانة الشاعر مرتبطة بما يخرج من أفواه هؤلاء النقاد فى المجالس .

وعلى ذلك وجدنا بعض الشعراء يتوسلون عند ذوى الجاه كى تتاح لهم الفرصة لتقديم مدائحهم ، فاذا لاقى شعرهم قبولا عند هؤلاء ، تحقق للشاعر مايريد من علو المكانة ، الأمر الذى أدى الى تنافس الشعراء فى قول المديح ، والافراط فى حشد المبالغات .

ونتج عن ذلك وفرة هذا النوع من مجالس المديح ، ومن خلال هذه المجالس ذهب الشعراء الى التجديد فى المقدمات ، كما جددوا فى الفضائل القديمة وعرضوها فى أزياء جديدة . وجعلتهم موجة المجون الحادة يصفون الخمر فى مقدمات مدائحهم ، وأصبحت أوزان القصيدة وألفاظها تميل الى الرقة ، وبدا الاهتمام بالفضائل الحسية ، كالبسطة فى الجسم ، وتألق الوجه ، وما الى ذلك . وهكذا حدثت تطورات فى شكل القصيدة بعضها يدخل فى موضوع المدح نفسه ، وبعضها الآخر يتصل بشكل القصيدة .

وبين البحث أثر المجالس فى ابراز ظاهرة شعر اللهو والمجون والخمر بشكل لم يسبق له نظير ، وكان مما هيأ لذلك مسايرة الخلفاء لركب الحضارة ، ومجالس الأنس والشراب التى كانوا يعقدونها ويحضرها الشعراء والمغنون ، فكثر فى شعرائهم أهل الخلاعة والمجون ، وتبع ذلك شيوع الغزل الشاذ بالغلمان ، وعمت موجة من الغناء ، وعن طريق الغناء ومجالسه ذاع شعر المحدثين وانتشر ، وأخذ هذا الشعر يتحرر من حدوده القديمة ، ويرتدى حللا جديدة ، وأصبح قصير الفقرات ، موسيقى الألفاظ ، رشيق الأوزان ، متجدد المعانى ، يطرق أبوابا من الابداع وألوانا لم نكن نلتقى بها فيما تقدم من العصور العربية .

وكشف البحث عن أثر المجالس فى ابراز ظاهرة شعر الارتجال والبديهة ، مما أضاف الكثير من المقطوعات الشعرية الى قاموس التراث العربى ، وبين نوعا جديدا من المقطوعات والقصائد بقصد التسلية والترفيه لأصحاب الجاه والسلطان .

وأبرز البحث أيضا أثر هذه المجالس فى نقد الشعر ، فبعد ان كان الذوق فطريا تحول الى ذوق مثقف ثقافة علمية واسعة ، وزاد اهتمام النقاد بناحيتى اللفظ والمعنى فى نقد الشعر . واختلفت مناهج النقاد باختلاف نزعاتهم ، وعلى الرغم من ذلك نجد نوعا من النقاد يحكمون خصائص الفن الشعرى ، وأصوله ، يهديهم الى ذلك ذوق وحذق ، وطول ممارسة .

١٣ - ومن مظاهر الجدة فى هذا البحث دراسة أثر هذه المجالس فى النقد ، فقد أثبت البحث أن المجالس حولت النقد العربى من سيره فى مجال الانطباعية الخالصة ، والأحكام الجزئية التى تعتمد المفاضلة بين بيت وبيت أو تمييز البيت المفرد أو ارسال حكم عام فى الترجيح بين شاعر وشاعر ، الى أن أصبح درس الشعر فى مطلع العصر العباسى الأول جزءا من جهد علماء اللغة والنحو ، فتبلورت لديهم قواعد أولية فى النقد .

وبين كذلك أن النقد لم يكن مجرد سمر فى المجالس أو حديثا على الموائد ، وانما كان فنا مستقلا تتسابق فيه أذواق الأدباء وأفكار العلماء على نسق جديد فى النقد العربى منذ نشأته .

وكشف البحث عن طبقات النقاد فى هذا العصر ، وألمع الى القضايا النقدية التى كانت تستولى على اهتمام كل طبقة من هذه الطبقات .

وتضمن البحث قائمة بأبرز النقاد فى العصر العباسى الأول ، وتناول بالدراسة والتحليل أبرز قضاياهم التى عرضوها فى مؤلفاتهم . ثم حاول البحث أن يعرض لأبرز القضايا النقدية التى شغلت النقاد فى العصر ، وأن يتحسس من خلال ذلك القضايا النقدية التى أثارتها مجالس الأدب ، وأن يسجل الى أى مدى أسهمت هذه المجالس فى بلورة القضايا النقدية خلال هذا العصر ، وماتبعه من عصور .

١٤ - ضم هذا البحث حشدا كبيرا من النصوص التى تصلح لأن يستشف الباحثون والدارسون منها خلاصات للثقافة الأدبية وللأدب فى العصر العباسى الأول ، لأنها صور حية ناطقة عن هذا العصر .

١٥ - قام البحث بتحليل أكثر النصوص التى تناولتها مجالس الأدب على اختلاف صورها ، كما قدم تحليلا للمجالس ذاتها فى أماكن متفرقة من البحث .

١٦ - عرف البحث بعدد وافر من فرسان هذه المجالس ، ورسم صورة واضحة للحياة الأدبية التى يحياها كل واحد من هؤلاء الفرسان . وأبرز أثره فى نهضة المجالس ، وازدهار الأدب فى هذا العصر .

١٧ - اشتمل البحث على كثير من الاضافات والتصويبات ، وتضمن كثيرا من المناقشات التى صححت بعض الآراء ، وجلت بعض الحقائق ، ويتضح ذلك من خلال مناقشة كثير من القضايا الأدبية والنقدية التى عرض لها البحث .

وبعد ، فان الحقيقة ضالة المؤمن ، يسعى اليها أنى كانت ، وقد سميت الى اظهارها عبر صفحات هذا البحث ، فان كنت قد أصبت فبتوفيق من الله ، وان جانبنى الصواب ، فحسبى اننى فكرت وجهدت ، وحاولت وأملت . والله الموفق لسواء السبيل .

* * *